المحور الثاني: المدارس الفكرية في العلاقات الدولية.

كيف تنشأ العلاقات بين الدول؟ وما الذي يتحكم بسلوك الدولة على الصعيد الدولي؟ وما هي الوسائل التي تتبعها الدول في تحقيق مصالحها دوليا؟. لا توجد إجابة واحدة في الفكر السياسي عن هذه الأسئلة، وإنما تختلف الأجوبة باختلاف المدارس السياسية، ومن هنا فإنه لدينا في العلاقات الدولية عدة مدارس، سنتعرض بالتحليل إلى أبرزها على النحو التالي:

المدرسة الأولى: المثـــالـــية Idealism

المثالية هي أحد الاتجاهات الفكرية في تحليل العلاقات الدولية، نشأتها كتيار فكري تعود إلى العصور القديمة (الإغريق والرومان)، إلا أن ظهورها كنظرية في العلاقات الدولية كان عقب الحرب العالمية الأولى، وهي الفترة التي شهدت الإعلان عن عهد عصبة الأمم، وظهور الأفكار المثالية للرئيس الأمريكي "ويلسون Wilson" التي نادى بها خلال مؤتمر فرساي العام 1919، والتي دعت إلى عالم أكثر أمنا من خلال نبذ الحرب كوسيلة لحل المشكلات السياسية، ورفض المعاهدات السرية بين الدول، وهو ما أسهم في بلورة مفاهيم جديدة استعملتها المثالية كمعايير لمدى توافق سياسات الدول مع السلوك المثالي المفترض أن ينتهجوه (ما يجب أن يكون) بما يتضمنه من أدوات لحل النزاعات والحد من الصراعات مثل الوساطة والمفاوضات والتحكيم والقضاء الدولي.

إذا انطلقت المثالية من منطلقات فلسفية تفاؤلية حول الطبيعة البشرية، لدى فقد شكلت اقترابا قانونيا تجاه عالم أفضل خال من النزاعات.

ويعتمد المثاليون على أولوية الأخلاق في تنظيم العلاقات الدولية مثلما هو الحال بين الأفراد، فهم يؤمنون بأن هناك مسلمة مفادها انسجام المصالح، بمعنى التوافق الطبيعي بين المصلحة العليا للفرد والمصلحة العليا للجماعة، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن من واجب الفرد الخضوع للقواعد والقوانين التي وضعت لخدمة الجماعة.

وقد حاول المثاليون صياغة إطار نظري لدراسة العلاقات الدولية يغلب عليه الطابع الأخلاقي والقانوني، يعكس فكرة الاحتكام إلى قواعد القانون الدولي طبقا لما تفرضه المعاهدات والأعراف والارتباطات الجديدة التي فرضها الانضمام للمنظمات الدولية، لدى تم تكييف العلاقات الدولية تكييفا قانونيا، في نفس الوقت انطلقوا في دراستهم للعلاقات الدولية انطلاقا مثاليا لما هو مفترض أن تكون عليه أو تبنى عليه العلاقات بين الدول.

وتنهج هذه المدرسة إلى حد كبير نهجا قانونيا إلى درجةٍ جعلت البعض يصفها بـ "المدرسة القانونية"، بيد أنها تتميز عن تلك المدرسة بإضفائها الطابع الأخلاقي على توجهاتها، على أي حال فقد عرفت هذه المدرسة في العلاقات الدولية أيضا بـ "مدرسة القانون الدولي والمنظمات الدولية".

المدرسة الثانية: الواقعـــــية Realism

الواقعية هي المدرسة الأكثر تأثيرا في العلاقات الدولية، تعود جذورها إلى الإيطالي "نيكولا مكيافيلي Nicolas Michiavel" 1532، والإنجليزي "توماس هوبز

Thomas Hobbes" 1652 الذي اعتقد أن «العامل المركزي في السياسة هو القوة وحدها، وأن مقدار مصالحك يتحدد بناء على مقدار قوتك، وأن القرار السياسي لا يجوز أن يكون خاضعا للإطار الأخلاقي».

-الافتراضات النظرية للفكر الواقعي:

تنطلق الواقعية من منطلق يكاد يكون استثنائيا بين النظريات الأخرى، حيث تقرر بوضوح أن الأصل في الفرد الشر، وأنه من حيث تكوينه الأصلي يعد مخلوقا قاسيا أنانيا لا يبحث إلا عن تحقيق مصالحه الخاصة بأي طريقة، وأن علاقته مع الآخر مبنية على الخوف والعداء. وهذا الاعتقاد يترتب عليه أن الدولة نفسها لن تكون إلا انعكاسا للإنسان الفرد، لأن الدولة بكل بساطة ليست إلا مجموعة من البشر، فغاية الدولة الحقيقية تكمن في تضخيم مصالحها بصرف النظر عن الآلية المتبعة في ذلك.

وبناء على ذلك فإن الواقعية ترى أن القوة وحدها هي التي ينبغي أن ترتكز عليها الدولة.

- *ما موقف المدرسة الواقعية من الدولة؟* ترى الواقعية بأن الدولة هي كيان مستقل ويملك السلطة العليا، ولا يوجد أي جهاز في النظام العالمي يعلو عليه، لا المنظمات الدولية ولا غيرها.
- *ما الغاية التي تسعى لها الدولة؟* يرى أصحاب الاتجاه الواقعي أن الغاية التي يجب أن تسخر الدولة كل إمكانياتها من أجلها هي تعظيم المصلحة القومية، أي أن تسعى الدولة لتوسيع رقعة مصالحها في العالم بصرف النظر عن أخلاقية الطريقة المؤدية إلى تلك المصلحة، فحيثما وجدت المصلحة فينبغي أن تسعى لها الدولة بكل الوسائل.

- *كيف تحقق الدولة غاياتها؟* غاية الدولة هي توسيع دائرة مصالحها، لكن السؤال المطروح لدى الواقعية، هو *بأي آلية توسع الدولة مصالحها؟*. يرى الواقعيون أن المصالح لا تُنال من خلال قوة المنطق، بل من خلال منطق القوة، فهم لا يؤمنون بدور المنظمات الدولية ولا يعترفون أصلا بالنظام الدولي. وبما أن غاية الدولة هي توسيع مصالحها فإن أصحاب المدرسة الواقعية يرون أن الحرب حالة طبيعية وليست حالة استثنائية، لأن كل دولة تسعى لتوسيع مصالحها، وهذا يعني أنها سوف تتعارض مع مصالح دول أخرى، و"تَعارُضُ المصالح هو وَقود الحروب".

وهذا الاندفاع التام لدى المدرسة الواقعية تجاه التعويل على القوة بوصفها معيارا عاما للنظام الدولي جعل بعضهم ينكر أصلا وجود شيء اسمه "القانون الدولي".

- *كيف يرى أصحاب المدرسة الواقعية النظام الدولي؟* يعتقد الواقعيون أن النظام الدولي فوضوي، واليد العليا في النظام الدولي هي للقوة وليست للقانون ولا الأخلاق، وأن المنظمات الدولية لا تصلح أن تكون إطارا مقيدا لسلوك الدول. وعليه ولأن الدولة بطبيعتها تبحث عن التوسع والحروب وليس الانكفاء والسلام، فإنه يجب عليها أن تعزز قوتها ولا تعتمد على القوانين والأخلاق حتى تضمن مصالحها.
- *إذا تعارضت المبادئ مع المصالح، ماذا يقدم الواقعيون؟* أصحاب المدرسة الواقعية يقدمون مصالحهم على مبادئهم، فإذا كانت الدولة ستخل بمبادئها إذا دخلت حربا مع دولة ما، لكنها ستحقق مصلحة معينة، فإنها تدخل الحرب لتحقق تلك المصلحة حتى لو خالفت مبادئها.

محاضرات الأستاذة معمر رخديجة

خلاصة المدرسة الواقعية: أنها تربط بين مبدأين أساسين (القوة والمصلحة) وعليه فإن مصلحة كل بلد تتحدد بحسب ما لديها من قوة، ومن هنا فالعلاقات بين الدول هي علاقات صراع لتحقيق أكبر قدر من القوة.

المدرسة الثالثة: الليبـــرالـــية Libéralism

الليبرالية هي فلسفة فكرية تستند إلى مبدأ الحرية المطلقة التي لا يجوز أن تُقيَد إلا إذا أَلحقت ضررا بالآخرين، وهي تستند على أربعة مبادئ هي:

1 -*مركزية الفرد:* أي أن الفرد هو المحور وليس المجتمع أو الدولة.

2 -*الأصل في الفرد عقلانية التصرف:* فلا يحتاج إلى وصاية على سلوكه، وحتى لو كان سلوكه خاطئا من وجهة نظرنا، فللفرد الحق في ممارسة الخطأ والاستفادة منه.

3 -*سلطة الدولة ينبغي أن تقتصر على الحد الأدنى:* ولذلك يسمون الدولة "الحارس اليلي"، فوظيفة الدولة أن تحميك وتحرسك، لا أن تقول لك ما يجب فعله.

4 -*الحرية الاقتصادية أهم من المساواة الاقتصادية:* فلا يجوز للدولة التدخل لخلق مساواة اقتصادية بين الأفراد، وإنما يجب عليها أن تترك الفرصة متساوية أمام الجميع من خلال إعطائهم الحرية الكاملة في التعامل مع السوق.

هذا هو معنى الليبرالية فكريا، أما عن المدرسة الليبرالية في العلاقات الدولية فقد جاءت كردة فعل على المدرسة الواقعية خلال سبعينيات القرن الماضي، "فإذا كانت المدرسة الواقعية تستند على مركزية القوة والمصلحة فإن الليبرالية تستند على مركزية المبدأ والقانون".

وترفض المدرسة الليبرالية ما يقوله الواقعيون من أن العلاقات الدولية مبنية على الصراع وليس على السلم، فهي مدرسة تؤمن بالسلام باعتباره حالة أصلية

ومفترضة لهذا العالم، وترفض حل النزاعات من خلال الحروب والعنف، وترى أن القانون الدولي هو الإطار الحاكم لسلوك الدول، وعليه فهي ترفض قول الواقعيين بأن الدول لا تسعى إلا إلى تعظيم قوتها دون مبالاة بالقوانين الدولية.

- *كيف ترى المدرسة الليبرالية الدولة؟* إذا كانت الواقعية تعتقد أن الأصل في الإنسان الشر والحرب، وهذا ما ينعكس على العلاقات الدولسة لكون الدول هي محض انعكاس للبشر، فإن الليبرالية تعتقد أن الأصل في الإنسان الخير، وهذا ما يعني أن الأصل في العلاقات الدولية السلام.
- *كيف ترى المدرسة الليبرالية النظام الدولي؟* يقر الليبراليون بوجود الفوضى في النظام الدولي، ولكنهم لا يرون أنها ذات تأثير كبير كما يعتقد الواقعيون، فوجودها ليس من شأنه أن يضطر الدول بالضرورة للتسابق في حيازة عوامل القوة والتنازع والصراع، ويترتب على ذلك أن الليبراليين يؤمنون بدور القانون في النظام الدولي، وبدور المنظمات الدولية في إحلال الأمن والسلم الدوليين.

ويعتقد الليبراليون أن العلاقات الدولية يمكن أن تبنى على أسس الاحترام المتبادل الناشئ عن احترام القانون الدولي، وعلى التجارة الدولية والاعتماد المتبادل وغيرها من القضايا التي من شأنها أن تجعل الدول تعرض عن استعمال آليات القوة والعنف لتحقيق مصالحها.

- *ما الغاية التي تسعى لها الدولة في المدرسة الليبرالية؟* يرى أصحاب المدرسة الليبرالية أن الغاية التي تبحث عنها الجولة هي مصالحها، لكن في إطار أخلاقي وقانوني، فلا يجوز للدولة أن تفعل فعلا يخالف مبادئها أو القانون الدولي، حتى لو كان ذلك الفعل يحقق لها مصالح خاصة، فلا بد أن تكون المصلحة مأطرة بإطار أخلاقي-قانوني، لكن *كيف تحقق الدولة مصالحها؟* لا يجوز في المدرسة الليبرالية أن

تحقق الدولة مصالحها بآليات العنف كالحرب أو التهديد، بل يجب أن تحصل الدولة على مصالحها من خلال الطرق السلمية وقنوات المنظمات الدولية.

المدرسة الرابعة: المـــاركســـية.

كانت المدرسة الماركسية ولا تزال مدرسة مهمة في تحليل العلاقات الدولية ورؤية مكونات النظام الدولي، وهي من حيث الأصل امتداد للإشتراكية، وهي تعود إلى الفيلسوف الألماني المعروف "كارل ماركس karl Marx" الذي كان متأثرا بأفكار أستاذه "جورج هيغل Georg Hegel".

- *ما مفهوم الدولة عند الماركسيين؟* يرى الماركسيون أن وجود الدولة من حيث الأصل أمر سيء، ولكن يُقبل بوجودها على اعتبار أنها مجرد مرحلة تطورية تاريخية سوف تتلاشى يوما ما، ثم يدير المجتمع ذاته من دون حاجة لوجود الدولة. يقول الروسي "ميخائيل باكونين Mikhail Bakounin" «ينتظم الإشتراكيون الثوريون بهدف تدمير، أو كنت تفضل كلمة أكثر تهذيبا، التخلص من الدولة».
- *لماذا يجب التخلص من الدولة؟* لأن وجود الدولة يعبر بالضرورة عن وجود تمايز طبقي في المجتمع، طبقة غنية مسيطرة استغلالية "البرجوازية"، وطبقة فقيرة كادحة "البروليتارية". وحتى ينتهي هذا التمايز يجب أن تنزع الملكية ووسائل الإنتاج من الطبقة الغنية لكي يشترك فيها الجميع، وهو ما يؤدي إلى توزيع الثروة "من كل حسب طاقته ولكل حسب حاجته"، وهو ما يعني أن المجتمع وصل إلى الحالة الشيوعية التي لا وجود للدولة فيها.
- *كيف يرى الماركسيون النظام الدولي؟* لا يؤمن الماركسيون بالنظام الدولي، لا بمجلس الأمن ولا بالمحكمة الدولية ولا بمنظمات حقوق الإنسان ولا نحو ذلك، وإنما

يعتقدون أن النظام الدولي خاضع للهيمنة الرأسمالية الإمبريالية التي تسعى إلى خلق طبقة أرستقراطية غنية لا تبالي بالفقراء، وأن النظام الدولي مسيطر عليه من قبل الشركات العالمية الكبرى، ومن عليه لا يؤمنون الماركسيون بأن التغيير يأتي من خلال المنظمات الدولية أو الوسائل الدبلوماسية، وإنما من خلال الوسائل الثورية فقط.

- *ما الذي يحكم سلوك الدول؟* ترى المدرسة الماركسية أن السياسة الدولية هي نتاج حتمي للنظام الرأسمالي العالمي، ففي هذا النظام الفاعلون الأساسيون هم الطبقات وممثلوها الاقتصاديون الذين يهيمنون على الدول ويسخرون قوتها لخدمة مصالحهم. وتسعى هذه المجموعات الرأسمالية للتغلغل في البلدان الأقل نموا لاستغلال أسواقها ومصادرها، وهكذا فإن السياسة العالمية تخضع لازدواجية تمثل الدول المستغلة والدول الأخرى.

وبناء على ما سبق، يرى الماركسيون أن الدافع الوحيد الذي يحرك سلوك الدولة هو الدافع الاقتصادي، أي أن القرارات السياسية التي تتخذها الدول ليست لأجل غرض إنساني أو ديني أو نحو ذلك، وإنما هي لغرض اقتصادي بحت.

محاضرات الأستاذة معمر خديجة

جدول رقم 01:

الفروق بين المدارس الفكرية في العلاقات الدولية

	الواقعية	الليبرالية	الماركسية/الراديكالية
الدولة	الدولة هي الفاعل الأهم في النظام الدولي، ولا يوجد نظام دولي يخضع له.	ليست الدولة هي الفاعل الأهم، وإنما المنظمات الدولية والقانون الدولي.	تعبر عن تمايز طبقي خلّفته الرأسمالية الدولية، ولذلك وجب إزالتها.
النظام الدولي	فوضوي، والأصل في العلاقات الدولية الحرب، ولذلك يجب على الدولة أن تقوي ذاتها حتى تعزز أمنها القومي الذي يعد أبرز أهدافها.	ليس فوضويا بالشكل الذي تتخيله المدرسة الواقعية، والأصل في العلاقات بين الدول السلام، وثمة إطار قانوني وأخلاقي يجب أن تلتزم به الدولة.	النظام الدولي هو انعكاس للرأسمالة العالمية.
آلية التغيير	القوة.	المنظمات الدولية والقانون الدولي.	يجب إحداث تغييرات راديكالية ثورية تغير جذور النظام الدولي.

محاضرات الأستاذة معمر رخديجة

المدرسة الخامسة: السلـــــوكـــــية Behavorism

السلوكية تيار فكري ومنهجي فرض نفسه بعد الحرب العالمية الثانية، انطلاقا من الولايات المتحدة، حيث مثلت السلوكية ثورة منهجية حقيقية في علم السياسة وميدان العلاقات الدولية، إذ تحوّل الباحثون من دراسة المؤسسات والقوانين والتاريخ ودراسة الحلات الفردية، إلى ملاحظة السلوك الإنساني لمعرفة القوانين التي تحكمه، فعن طريق الانتظامات والنماذج فقط يمكن تشكيل نظريات عامة، تستطيع تفسير وتوقع الحلات المشابهة الأخرى. وفي هذا السياق يرى "روبرت دال Robert

Dahl" أن السلوكية جاءت كرد فعل على عدم كفاية وجدوى المناهج التقليدية في دراسة الظواهر السياسية، وعليه دعت إلى ضرورة اهتمام البحث العلمي بالتفكير في الواقع والاقتصار على الظواهر التي يمكن إدراكها عن طريق الحواس ويمكن قياسها مستخدمة في ذلك ما تتيحه أدوات الإحصاء وتقنيات الحاسوب...إلخ، ومن ثم استهدف السلوكيون بناء نظريات سياسية "علمية" على أسس المنهج العلمي/التجريبي.

ترى السلوكية أن السلوك فقط هو ما يمكن ملاحظته وقياسه، لأن مهمة العالم السلوكي هي تقديم فرضيات معقولة بخصوص أفعال الإنسان واختبارها بشكل منظم وتجريبي، وباستعمال أدوات المنهج العلمي لوصف وتفسير السلوك الإنساني بغية توقع ومعرفة السلوك المستقبلي.

وقد اعتمدت السلوكية في الكثير من أطروحاتها على النتائج التي توصّل إليها علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الأنتروبولوجيا، الذين درسوا سلوكات الأفراد والجماعات، وذلك انطلاقا من أن سلوكات الدول هي أساسا سلوكات الأفراد والجماعات الرسمية وغير الرسمية في تلك الدول. وأن الشرط الضروري عند السلوكيين لتحويل الوقائع والأحداث إلى معلومات وبيانات يتمثل في وجود إجراءات وقواعد تصنيف وترتيب واضحة يمكن تكرارها.

يمكن القول أن مساهمة السلوكيين الأساسية كانت في الثورة المنهجية التي أحدثها المنظور في حقل العلاقات الدولية بما أطبعت على هذا الأخير صفة العلمية، من حيث أنه تم تطوير الكثير من المفاهيم والنظريات (تحليل النظم، البنائية الوظيفية، نظرية المباريات....) وأدوات البحث التي استخدامتها العلوم الاجتماعية.

كما يعود الفضل للسلوكيين في استعمال المقاربات المتعددة الاختصاصات ودراسة وحدات جديدة في التحليل مثل "النظام الدولي"، وبناء حقول معرفية محددة

للبحث في العلاقات الدولية، مثل تحليل السياسة الخارجية وعملية صنع القرار والمتغير القيادي.

تأسيسا على ما سبق يمكن القول أن الثورة المنهجية التي حققها المنظور السلوكي (بمرحلتيه السلوكية وما بعد السلوكية)، كانت محركا للبحث عن منظورات أكثر شمولا ودقة في تحليل وتأصيل ما أصبح يصطلح عليه "علم العلاقات الدولية".

جدول رقم 02:

خصائص الاتجاهين التقليدي والسلوكي في دراسة العلاقات الدولية

	الاتجاه التقليدي	الاتجاه السوكي
1-	- يربط بين الحقيقة والقيمة.	- يفصل بين الحقيقة والقيمة.
2-	- تأملي / معياري.	- موضوعي/تجريبي.
3-	- كيفي.	- كمي.
4-	- يهتم بالشذوذية.	-يهتم بالتماثل والانتظام.
5-	- غير مقارن، يركز على دول مفردة.	- مقارن، يركز على العديد من الدول.
6-	- مستغرق، يركز بخاصة على الديمقراطيات الغربية.	- مستغرق، يركز فقط على النموذج الأمريكي والبريطاني.
7-	- وصفي، ضيق الأفق.	- تأملي، واسع الأفق.
8-	- يركز على الهياكل الرسمية الحكومية والدستورية.	- يركز على هياكل ووظائف المجموعات الرسمية وغير الرسمية.
9-	- تاريخي.	- غير تاريخي.